

إذ نقاد الفنون المختلفة يكادون يجمعون على أن الوضوح إذا عرض للآثار الفنية أفقدها كثيرا من روعتها وجمالها والدلالة على ذلك كثيرة، فنحن نعجب بنور القمر أكثر من إعجابنا بنور الشمس، وما هذا إلا لأن نوره أكثر إبهاما وأوفر غموضا، وكذلك نحن نعجب بالمناظر الطبيعية تتراءى لنا في ثياب أضواء الفجر الغامضة أكثر من إعجابنا بها وهي متبرجة في أضواء الهاجرة. ونحن أيضا لا نطلب في الموسيقى انكشافا ولا وضوحا، فمشاعرنا تتهيج بالسماع فقط، وليس من الضروري أن نفهمها، بل إن كثيرين يتأذون من فهمها ويقلقون من وضوحها. والشعر لا يخرج عن بقية الفنون الجميلة، فهو كلما كان أكثر وضوحا كان أقل قيمة وأدنى درجة، لأنه لا ينطق حينئذ إلا بظاهر من القول وضحل من التفكير. نعم هناك مسألة مهمة يجب أن يأخذ الأدباء لأنفسهم الحذر من شرها، وذلك أن كثيرا من شعرائنا أفسدوا أذواقنا في حكمنا على الشعر، فجعلونا نظن أن بين الجمال والوضوح علاقة وثيقة، لأننا نجدهم يحسون بالضوء أكثر من إحساسهم باللون أو أى شيء آخر، فإذا وصفوا لنا روضا لم يشاءوا أن يصفوه إلا والسما مصحبة وقرص الشمس يلتهب التهايا، وقلما تحدثوا بشيء عن هذا الروض إذا تنفس الصبح أو بزغ القمر، ولو تدبر شعراؤنا وفكروا لعرفوا أن الجمال لا يبدو عاريا مكشوقا أمام العيون، وإنما يتخذ دائما سراويل تقبه تتر الوضوح والابتدال سواء في الطبيعة أو في الشعر أو في أى شيء آخر.

٢

ماهية الشعر وعناصره

للشعر أثر كبير في تاريخ الحياة الإنسانية ولا يستطيع أحد ان ينكر ما أفادها بنغماته السحرية الجميلة وموسيقاه الناطقة المؤثرة، وإذا كان العلم يعطينا مددا نافعا وفوائد جلية فإن الشعر يمنحنا هبة أعظم شرفا، وذلك لأنه يفتح على أرواحنا النوافذ المغلقة فيوصلها بالحياة التي تجري أمامها والنور الذي ينتشر.